الباب الرابع
مقارنة بين رأي محمد ابن جرير الطبري وابن كثير في تأويل الحروف المقطعة

الباب الرابع

مقارنة بين رأي محمد ابن جرير الطبري وابن كثير فى تأويل الحروف المقطعة

هذا الباب يتطرق إلى التحليل والبيان عما فسّره ابن جرير الطبري وابن كثير فى الحروف المقطعة، والمصدر الذى يرجع إليه الباحث لمعرفة رأيهما فى تأويل الحروف المقطعة : كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري وكتاب تفسير القرآن العظيم لإبن كثير، وسوف يستعرض موجز رأيهما ببعض التفصيل.

أ. رأيُ ابن جرير الطبري عن الحروف المقطعة

كما تقدم البحث فى الأبواب السابقة بأن الحروف المقطعة جاءت فى فاتحة تسع وعشرين سورة، وتسهيلا للبحث والبيان، فهذا عرض لأسماء السور التى فتحت بهذه الحروف المقطعة حسب شكلها فى تسع وعشرين سورة، فكان شكل هذه الحروف المقطعة بعد حذف تكرارها يحتوى على أربعة عشر شكلا :

الشكل الأول: {الم}

موقع هذه الحروف المقطعة ستة فى سورة البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. فسورة البقرة وآل عمران مدنيتان، والباقي منهما مكية.

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفواتح :

بدأ ابن جرير الطبري فى بيان معنى (الم) والحروف المقطعة التى وردت بين يدي هذه السور بذكر اختلاف المفسرين فى تأويلها. وقال فى تأويل قوله تعالى : (الم) يحتوى على عدة آراء، وهي: **أولا:** أنها اسم من أسماء القرآن. وممن قال به يستدل برواية آتية : وهي الرواية التى جاءت من قتادة، ومجاهد، وحديث عن ابن جريج، فيقولون بأن (الم) اسم من أسماء القرآن.

ثانيا : أنها من الفواتح يفتح الله بها القرآن. وممن قال به يستدل برواية آتية : حديث هارون بن ادريس برواية عن مجاهد، قال: (الم) فواتح يفتح الله بها القرآن. ورواية أخرى جاء عن ابن أبى مجاهد مثل حديث هارون بن ادريس.

ثالثا: إنها اسم للسورة : وممن قال به يستدل برواية آتية: حديث يونس بن عبد الأعلى برواية عن أبي في قوله تعالى : (الم، ذلك الكتاب)، و (الم، تنزيل)، و (المر، تلك) : هي أسماء السور.

رابعا: وبعضهم قال بأنها إسم الله الأعظم؛ وممن قال به يستدل برواية آتية: حديث محمد بن المثنى برواية عن ابن عباس، قال إنها اسم الله الأعظم. ونحو هذا الرأي جاء من رواية مرة الهمداني، و الشعبي.

خامسا: وقال بعضهم أنها قَسَمٌ أقسم الله به، وهي من أسماءه. وممن قال به يستدل برواية آتية: حديث يحيى بن عثمان بن صالح السهمي برواية عن ابن عباس، قال: هي قَسَمٌ أقسم الله بها، وهي من أسمائه. و نحوه روايةٌ جاء من عكرمة، قال: (الم) قسم.

سادسا: قال بعضهم هي حروف مقطعة من أسماء وأفعال، كل حرف من ذلك لمعنى غير المعنى الآخر. وممن قال به يستدل برواية آتية: حديث أبو كريب برواية عن ابن عباس قال: أن (الم): أنا الله أعلم، وعنه أيضا أنه اسم مقطع، وحديث أبي عبيد برواية عن سعيد بن جبير قال نحوه، وحديث موسى بن هارون برواية عن ابن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (الم) فهو حرف اشتق من حروف هجاء أسماء الله جل ثناءه.

سابعا: قال بعضهم: هي حروف هجاء موضوع. وممن قال به يستدل برواية آتية: حديث منصور بن أبي نويرة برواية عن مجاهد، قال: فواتح السور كلها (ق)، و (ص)، و (حم)، و (طسم)، و (الر) وغير ذلك هجاء موضوع.

ثامنا: قال بعضهم: هي حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة. وممن قال به يستدل برواية آتية: حديث المثني بن ابراهيم الطبري برواية عن الربيع بن أنس، قال: إن (الم) : هي الأحرف من التسعة والعشرين حرفا، دارت فيها الألسن كلها، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو فى آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو مدة قوم وآجالهم. وقال عيس ابن مريم: "وعجيب ينطقون فى أسمائه، ويعيشون فى رزقه، فكيف يكفرونه"؟، قال: الألف: مفتاح اسمه "الله"، واللام: مفتاح اسمه "لطيف"، والميم: مفتاح اسمه "مجيد"؛ والألف: آلائه، واللام: لطفه، والميم: مجده؛ الألف: سنة، واللام: ثلاثون سنة، والميم: أربعون سنة.

فأما الذى قال بأنها حروف من حساب الجمل فكان ابن جرير الطبري اعترض هذا القول بأنه لا يُعتمد على روايته[107].

[107] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت، لبنان، دار الفكر، الجزء 1، 1415هـ/1995م)، ص. 132

تاسعا: قال بعضهم : لكل كتاب سرّ، وسرُّ القرآن فواتحه، وبعض منهم قال: هي حروف من حساب الجمل، وهذا القول مما كرهه ابن جرير الطبري، لعدم روايته ونقله المعتمدة من الصحابة.

عاشرا: وقال بعضهم : هي حروف يستفتح الله بها كلامه، وأنه تعالى افتتح بها ليعلم أن السورة التى قبلها قد انقضت، وأنه قد أخذ فى أخرى، فجعل هذا علامة انقطاع ما بينهما، وذلك فى كلام العرب ينشد الرجل منهم الشعر، فيقول: بل، فالمقصود منه: "وبلدةٍ ما الإنس من آمالها".

2. موقفه تجاه تلك الاختلاف أوالآراء.

قال أبو جعفر ابن جرير الطبري: لكل قول من الأقوال التى قالها الذين وصفنا قولهم فى ذلك وجه معروف، فأما الذين قالوا: (الم) اسم من أسماء القرآن، فلقولهم ذلك وجهان: أحدهما أن يكونوا أرادوا أن (الم) اسم للقرآن كالفرقان اسم له. وإذا كان معنى قائل ذلك كذلك، كان تأويل قوله (الم) : ذلك الكتاب على معنى القسم؛ كأنه قال: والقرآن هذا الكتاب لاريب فيه. والآخر منهما أن يكونوا أرادوا أنه اسم من أسماء السورة التى تعرف به كما تعرف سائر الأشياء بأسمائها التى هي لها أمارات[108] تعرف بها، فيفهم السامع من القائل، يقول: قرأت اليوم (المص) و (ن) أي

[108]الأمارات: جمع أمارة، وهي العلامة.

السورة التى قرأها من سور القرآن، كما يفهم عنه إذا قال: لقيت اليوم عمراً وزيداً، وهما يزيد وعمر وعارفان مَنِ الذى لقي من الناس[109].

وأسهب ابن جرير الطبري فى كلامه؛ من قال بأنها من فواتح يفتتح الله تعالى بها كلامه، فذلك أدلة على انقضاء سورة وابتداء فى أخرى وعلامة لانقطاع ما بينهما، كما جعلت "بل" فى ابتداء قصيدة دلالة على ابتداء فيها وانقضاء أخرى قبلها[110].

وقال ابن جرير الطبري فى آخر تعليقه عن تأويلات هذه الفواتح، بأن الصواب من القول فى تأويلها : أن الله جل ثناءه جعلها حروفا مقطعة ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف؛ لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة لا على معنى واحد، كما قال الربيع بن أنس، وإن كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة دون ما زاد عليها[111]. والصواب عند ابن جرير فى تأويلها : أن كل حرف منها يحتوى ما قاله الربيع وما قاله سائر المفسرين غيره فيه، سوى ما ذكرت من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية أنه كان يوجّه تأويل ذلك إلى أنه حروف هجاء استُغني بذكر ما ذكر منه فى مفاتح السور عن ذكر

---

[109] الطبري، نفس المرجع، الجزء 1، ص. 133-134

[110] الطبري، نفس المرجع، الجزء 1، ص. 134

[111] اقتصر الربيع الحروف المقطعة على ثلاثة معان : (1) هي مفتاح اسم من أسماء الله، (2) ليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه، (3) ليس منها حرف إلا وهو فى مدة أقوام وآجالهم. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجزء 1، ص. 131

تتمة الثمانية والعشرين حرفا من حروف المعجم بتأويل: أن هذه الحروف، ذلك الكتاب مجموعة لا ريب فيه، فإنه قول خطأ فاسد لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين[112] من أهل التفسير والتأويل، فكفى دلالة على خطئه شهادة الحجة عليه بالخطأ مع إبطال قائل ذلك قوله الذى حكيناه عنه، إذ صار إلى البيان عن رفع ذلك الكتاب بقوله مرة إنه مرفوع كل واحد منهما بصاحبه ومرة أخرى أنه مرفوع بالراجع من ذكره فى قوله: {لا ريب فيه} ومرة بقوله: {هدى للمتقين} وذلك ترك منه لقوله إن {الم} رافعة {ذلك الكتاب} وخروج من القول الذى ادّعاه فى تأويل {الم، ذلك الكتاب} وأن تأويل ذلك: هذه الحروف ذلك الكتاب[113].

أخبر نا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أن كل سائر السور المُفتَتَحة ب-الم- يكون معناها متساوية بما وردت في أول سورة البقرة، فأمرنا ابن جرير عند تأويلها بالرجوع إلى ما فسره فى أول سورة البقرة.

الشكل الثاني: {المص}

موقعها فى سوة الأعراف.

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفاتحة.

[112] الخالفون: الذين يجيئون بعد قوم ويتبعوهم على آثارهم، وهو جمع خلف.

[113] الطبري، نفس المرجع، الجزء 1، ص.139

بدأ ابن جرير الطبري فى بيان معنى (المص) الواردة بين يدي هذه السورة بذكر اختلاف المفسرين فى تأويلها. وقال فى تأويل قوله تعالى (المص) يحتوى على عدة آراء، و هي: أولا: قال : معناها : أنا الله أفصل. ذكر من قال ذلك بحديث سفيان عن رواية ابن عباس، وعن سعيد بن جبير، فى قوله تعالى (المص) : أنا الله افصل.

ثانيا : وقال أصحابه : هي هجاء حروف اسم الله تعالى الذى هوالمصوّر. وذكر من قال ذلك: حديث محمد بن الحسين برواية عن السديّ فى قوله تعالى: (المص) قال: هي هجاء المصوِّر.

ثالثا : وقال آخرون: هي اسم من أسماء الله أقسم الله به. ذكر من قال ذلك: حديث المثنى برواية عن ابن عباس أيضا بأن قوله تعالى: (المص) قسم أقسم به الله، وهو من أسماء الله.

رابعا : أنها اسم من أسماء القرآن. فذكرمن قال ذلك : حديث محمد بن عبد الأعلى، وحديث الحسن بن يحيى برواية عن قتادة، بأن قوله تعالى: (المص) إسم من أسماء القرآن. والأخير : إنها حروف هجاء مقطعة، وهي من حساب الجمل، وهي حروف تحوي معانى كثيرة دلّ بها الله خلقه على مراده من ذلك، وهي حروف إسم الله الأعظم.

2. موقفه تجاه تلك الاختلافات أوالآراء

فقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: إن الصواب من القول عنده فى تلك الأقوال هو ما يكون بشواهده وأدلته.

الشكل الثالث: {الر}

موقعها فى سورة يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر.

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفاتحة

وكما تقدم البحث فى هذا المجال، فسر ابن جرير قوله تعالى (الر) بذكر إختلاف أهل التأويل. أولا: قال بعضهم بأن التأويل فى قوله تعالى (الر) هي : أنا الله أرى. والقائل بهذا الرأي صدر من حديث يحى بن داود برواية عن الضحاك، وحديث أحمد بن إسحاق برواية عن ابن عباس.

ثانيا: قال بعض الآخرين يقولون بأنها حروف من اسم الله الذى هو الرحمن. وكان أصحاب هذا الرأي أسند روايته إلى حديث عبد الله بن أحمد بن شبويه عن ابن عباس، وإلى رواية عن الحسين بن عثمان فيما ذكره سالم عبد الله، وحديث المثنى عن سعيد بن جبير، وحديث ابن وكيع. فيقولون بأن قوله تعالى (الر، و حم، و نون) هو

اسم الرحمن، وزاد فى رواية عن عامر أنه سئل عن : (الر، وحم، وص) قال: هي أسماء الله مقطعة بالهجاء، فإذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله.

ثالثا: هي اسم من أسماء القرآن. واحتج أصحاب هذا الرأي بحديث محمد بن عبد الأعلى برواية عن قتادة بأن قوله تعالى : (الر) هي اسم من أسماء القرآن.

2. موقفه تجاه تلك الاختلافات أوالآراء

فقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فى تعليق تلك الاختلافات مثل ما قاله فى تعليقه عن تأويل الحروف المقطعة فى أوّل سورة البقرة، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضوع. وإنما ذُكرت هذه الاختلافات فى هذا الموضوع لمخالفة مما ذكرت فى أول سورة البقرة.

الشكل الرابع: {المر}

موقعها فى سورة الرعد.

وليس كما تقدم بحثه، أن ابن جرير الطبري لا يذكر أنواع الاختلافات فى تأويل هذه الفاتحة، فيكتفى بذكر معناها فى بعض السور المتقدمة وهو نفس البيان عن قوله تعالى : (الر) التى وردت فى افتتاح سورة يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر. فكان تفسير هذه الفاتحة مستدل بما جاء من الرواية عن ابن عباس من نقل

أبى الضحى مسلم بن صبيح وسعيد بن جبير عنه، فالتفريق بين معنى ما ابتدئ به أولها مع زيادة الميم التى فيها على سائر سور ذوات الراء، ومعنى ما ابتدئ به أخواتها، مع نقصان ذلك منها عنها. فإذن، معنى هذه الفاتحة هو "أنا الله أرى".

الشكل الخامس: {كهيعص}

موقعها فى سورة مريم

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفاتحة

وكما تقدم البحث فى هذا المجال، بدأ ابن جرير الطبري فى بيان معنى قوله تعالى: (كهيعص) الواردة بين يدي هذه السور بذكر اختلاف المفسرين فى تأويلها. وقال فى تأويل قوله تعالى (كهيعص) يحتوى على عدة آراء، و هي: أولا: قال : أنها حرف من اسمه الذى هو كبير، دلّ به عليه، واستغنى بذكره عن ذكر باقي الاسم. واحتج أصحاب هذا الرأي بحديث أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، وحديث كريب، وحديث ابن بشار عن ابن عباس، وحديث هناد السريّ عن سعيد بن جبير، بقولٍ أن تأويل "كاف" فى قوله تعالى (كهيعص) هو اسم الله الذى هو "كبير".

ثانيا: قال آخرون: أن حرف "كاف" فى قوله تعالى: (كهيعص) هو اسم الله الذى هو "كَافٍ". وقد نسب هذا القول لحديث يحيى بن طلحة اليربوعي برواية عن سعيد بن جبير، وحديث أبو كريب عن الضحاك بن مزاحم، وحديث ابن حميد عن الكلبي.

ثالثا: وقال آخرون أنه حرف من حروف اسمه الذى هو "كريم"، والقائل بهذا الرأي جاء من رواية سعيد بن جبير أيضا من حديث ابن حميد.

رابعا: وذهب بعضهم إلى أن حرف "الهاء" فى "كهيعص" يشير إلى معنى ا سمه تعالى الذى هو هاد. واستدل القائلون بهذا القول بأدلة منها: ما يروى عن ابن عباس من حديث أبو كريب، وما يروى عن سعيد بن جبير من حديث أبو حصين، وأبو السائب، وابن بشار، ويحيى بن طلحة، وما يروى عن الضحاك بن مزاحم من حديث أبو كريب، وما يروى عن الكلبيّ من حديث ابن حميد.

خامسا: اختلف أهل التأويل فى تأويل "الياء" من "كهيعص"، فقال بعضهم: هو حرف من حروف اسمه الذى هو يمين. ومما استدل به بعضهم على هذا القول ما يرويه عن ابن عباس من حديث أبو حصين وأبو كريب وأبو الأحوص وأبو السائب. وقال بعضهم : بل هو حرف من حروف اسمه الذى هو "حكيم" واستدل القائلون بذلك برواية عن سعيد بن جبير من حديث ابن حميد. وقال بعضهم : بل هوحرف

من قول القائل : يا من يجير، واستدل أصحاب هذا القول برواية عن الربيع بن أنس من حديث ابن حميد، أن معنى قوله تعالى "كهيعص" : يا من يجير ولا يجار عليه.

سادسا: واختلف متأوّلو ذلك كذلك فى معنى العين، فقال بعضهم: هي حرف من حروف اسمه الذى هو "عالم". و يُستدل ذلك برواية عن سعيد بن جبير، وعن الكلبي من حديث ابن حميد، ورواية عن ابن عباس من حديث أبو كريب، ورواية عن العلاء بن المسيب بن رافع عن أبيه من حديث عمر. وقال بعض الآخرين : بل هي حرف من حروف اسمه الذى هو عزيز، ومصدر هذا القول آتٍ عن رواية ابن عباس من حديث أبو حصين، وعن رواية سعيد بن جبير من حديث أبو السائب، وهناد، ويحيى بن طلحة اليربوعي. وقد ذهب بعض الآخرين بأنها حرف من حروف اسمه الذى هو "عدل" وذلك ما يرويه عن الضحاك بن مزاحم من حديث أبو كريب، حيث قال: "عين" هو عدل.

سابعا: وقال الذين تأولوا حرف "الصاد" من قوله تعالى "كهيعص" : هي حرف من حروف اسمه الذى هو "صادق"، وذلك بذكر الرواية الآتية: حديث أبو كريب، وحديث أبو حصين، وحديث ابن بشار عن ابن عباس، وعن رواية سعيد بن جبير من حديث هناد، وعن رواية الضحاك بن مزاحم من حديث أبو كريب، وعن رواية الكلبي من حديث ابن حميد.

ثامنا: إن هذه الكلمة "كهيعص" كلها اسم من أسماء الله تعالى. فالرواية التى تشير إلى هذا القول على ما يلى : (1) ما يروي عن فاطمة ابنة عليّ من حديث محمد بن خالد بن خداش، قالت فاطمة : كان عليّ يقول: يا "كهيعص" : اغفرلي. (2) ما يروى عن ابن عباس من حديث عليّ ، فقال ابن عباس فى قوله تعالى "كهيعص": إنه قسم أقسم الله به، وهو من اسماء الله. (3) وقال آخرون: كل حرف من ذلك اسم من أسماء الله عزّ وجلّ، فهذا القول جاء عن رواية أبي العالية من حديث مطر بن محمد الضبي ، قال: "كهيعص" : ليس منها حرف إلا وهو اسم. وأما قول بعض الآخرين بأن هذه الكلمة اسم من أسماء القرآن، واستدل أصحاب هذا القول برواية عن قتادة فى قوله تعالى "كهيعص" قال: اسم من أسماء القرآن.

2. موقفه تجاه تلك الاختلافات أو الآراء

وكما تقدم القول فى هذا المجال، اختتم أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري بكلامه الذى كرّره دبر كل بحث من هذه الحروف المقطعة، وهو بقوله : فالقول فى ذلك عندنا نظير القول فى "الم" وسائر فواتح سور القرآن التى افتتحت أوائلها بحروف المعجم، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضوع.

الشكل السادس: {طه}

موقعها فى سورة طه.

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفاتحة

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فى ابتداء بحثه عن سورة طه : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى "طه" فقال بعضهم، أولا: معناه "يارجل"، ويعزى هذا القول لابن عباس من حديث ابن حميد ومحمد بن سعيد، ويعزى أيضا لسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك بن مزاحم، وقتادة، والحسن.

ثانيا: هو اسم من أسماء الله، وقسم أقسم الله به. ويعزى أصحاب هذا القول إلى رواية ابن عباس من حديث عليّ. وقال آخرون : بل هوحروف هجاء. وقال بعضهم الآخرون : هو حروف مقطعة يدلّ كلّ حرف منها على معنى.

2. موقفه تجاه تلك الاختلافات أو الآراء

قال أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري : إن الأولى بالصواب عندى من الأقوال فيه: قول من قال: معناه: يارجل، لأنها كلمة معروفة فى عكٍّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يارجل. فتأويل قوله تعالى : {طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}[114] إذن : يارجل ما أنزنا عليك القرآن لتشقى، ما أنزلناه عليك فنكلفك ما لا طاقة لك

[114] سورة طه: 1-2

به من العمل. وذُكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النصب والعناء والسهر فى قيام الليل[115].

الشكل السابع: {طسم}

موقعها فى سورة الشعراء، وسورة القصص.

أخبرنا أبو جعفر الطبري فى تفسير ابتداء هذه السورة، أنه قد ذكر اختلاف المختلفين فيما فى ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء، وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة. وكان ابن جرير الطبري أوْرَد الرواية عند تفسير هذه الحروف برواية عن ابن عباس من حديث عليّ بن داود، بأنها قسم أقسمه الله، وهو من أسمائه ، وعن قتادة فى (طسم) قال: هي اسم من أسماء القرآن.

الشكل الثامن: {طس}

موقعها فى سورة النمل.

قال أبو جعفر فى بيان هذه الفاتحة : وقد بيّنا القول فيما مضى من كتابنا هذا فيما كان من حروف المعجم فى فواتح السور، فقوله تعالى: (طس) من ذلك. وقد رُوي عن ابن عباس أن قوله تعالى : (طس): قسم أقسمه الله، وهو من أسماء الله.

الشكل التاسع: {يس}

[115] الطبري، نفس المرجع، المجلد التاسع، الجزء 16، ص. 172

موقعها فى سورة يس.

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفاتحة

قدّم أبو جعفر الطبري فى مقدمة تفسير هذه الحروف بذكر بعض الاختلافات عند أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى : (يس)، فقال بعضهم: أولا **:** هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله. ويعزى القائل بهذا الرأي إلى رواية ابن عباس من حديث عليّ. ثانيا : قال آخرون: أنه بمعنى "يارجل". وقد نسب هذا القول أيضا لابن عباس من حديث ابن حميد، وعن وعكرمة من حديث ابن المثني حيث يقولان بأنه يدل على معنى : "يا إنسان"

ثالثا: قال آخرون : هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه. وقد نسب هذا القول لمجاهد من حديث ابن بشار. وقال الآخر : بل هو اسم من أسماء القرآن، وقد ذكر من قال ذلك برواية عن قتادة من حديث بشر فى قوله تعالى: (يس) قال: كلّ هجاء فى القرآن اسم من أسما القرآن.

2. موقفه تجاه تلك الاختلافات أو الآراء

فقال أبو جعفر فى آخر تعليقه عن تأويل هذه الحروف : وقد بيّنا القول فيما مضى فى نظائر ذلك من حروف الهجاء بما أغنى عن إعادته وتكريره فى هذا الموضوع.

الشكل العاشر: {ص}

موقعها فى سورة ص.

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفواتح

وكما تقدم البحث فى هذا المجال، بدأ ابن جرير الطبري فى بيان معنى قوله تعالى : (ص) الذى ورد بين يدي هذه السور بذكر اختلاف المفسرين. وقال فى تأويل قوله تعالى (ص) يحتوى على عدة آراء، و هي: أولا: قال : هو من المصادة، من صاديت فلاناً، وهو أمر من ذلك، كأن معناه عندهم: صاد بعملك القرآن: أي عارضه به، وكذلك روي عن الحسن من حديث بشر بقولٍ، أن معنى (ص) : حادث القرآن، وحديث عليّ عن الحسن، فى قوله (ص) قال: عارض القرآن بعملك.

ثانيا: إنها حرف هجاء. ذكر من قال ذلك برواية عن السديّ من حديث محمد بن الحسين، أن (ص) من الحروف.

ثالثا: أنها قسم أقسم الله بها. ذكر من قال ذلك برواية عن ابن عباس من حديث عليّ. وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به، ذكر من قال ذلك برواية عن قتادة من حديث بشر، فإذن معنى قوله تعالى: (ص) قال: هو اسم من اسماء القرآن أقسم الله بها.

رابعا: أنها تدل على معنى : صدق الله، ويعزى هذا القول إلى حديث السيب بن شريك عن الضحاك فى أن قوله تعالى: (ص): هو صدق الله.

2. موقفه تجاه تلك الاختلافات أو الآراء

إن ابن جرير الطبري لم يذكر تعليقه عن تأويل تلك الفاتحة إلا ما يذكر عن اختلاف أهل القرّاء فى قراءة هذه الفاتحة (ص)، فقرأ الطبري عامة قرّاء الأمصار خلا عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر، وهو بسكون "الدال"، فأما عبد الله بن أبي إسحاق فإنه كان يكسرها لاجتماع الساكنين. وقال ابن جرير : فالصواب من القراءة فى ذلك بالسكون فى كل ذلك، لأن ذلك القراءة التى جائت بها قرّاء الأمصار مستفيضة فيهم، وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات، فيعربن إعراب الأسماء والأدوات والأصوات، فيسلك بهن مسالكهن[116].

الشكل الحادى عشر: {حم}

موقعها فى سورة غافر، وفصلت، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفاتحة

لقد اختلف أهل التأويل فى معنى فاتحة هذه السور، فقال ابن جرير الطبري، إن الاختلاف في تأويلها يحتوى على أربعة آراء : أولا: أنه حروف مقطعة من الإسم الذى هو الرحمن الرحيم، وهو الحاء والميم منه. ومما استدل به أصحابه على هذا القول

[116] الطبري، نفس المرجع، المجلد 12، ص. 141

ما يرويه عن عكرمة وعن ابن عباس من حديث عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزي، أن (الر، وحم، ون): هي حروف الرحمن مقطعة.

ثانيا: أنها قسم أقسم به الله، وهو اسم من أسماء الله. وممن قال به يستدل برواية عن ابن عباس أيضا، ورواية عن السديّ من حديث عليّ ومحمد بن الحسين.

ثالثا: يقول إنه اسم من أسماء القرآن، وذلك حديث بشر برواية عن قتادة حيث قال: أن (حم) هو اسم من أسماء القرآن.

رابعا: أنه حروف هجاء.

2. موقفه تجاه تلك الاختلافات أو الآراء

فقال أبو جعفر فى آخر تعليقه عن تأويل هذه الحروف: والقول في ذلك نظير القول فى أخواتها وقد بين هذا القول فى قوله تعالى : (الم)، إذ كان القول فى "حم" وجميع ما جاء فى القرآن على هذا الوجه قولا واحدا.

الشكل الثانى عشر: {حم، عسق}

موقعها فى سورة الشورى.

ذكر ابن جرير الطبري تأويل هذه الحروف حديث أحمد بن زهير من رواية حُذيفة في معنى هذه الحروف، قال حذيفة : أن رجلا أتى ابن عباس وسأل معنى هذه الحروف المقطعة، فلم يجبه شيئا، فقال له حُذيفة: أنا أنبئك بها، قد عرفت بم كرهها;

نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبد الله يترل على نهر من أنهار المشرق، تبنى عليه مدينتان يشقّ النهر بينهما شقا، فإذا أذن الله في زوال مُلكهم، وانقطاع دولتهم ومدتهم، بعث الله على إحداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت، كأنها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها متعجبة، كيف أفلتت، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم، ثم يخسف الله بها وبهم جميعا، فذلك قوله: (حم عسق) يعنى: عزيمة من الله وفتنة وقضاء حم عين، يعنى: عدلا منه، سين يعنى سيكون، وقاف يعنى واقع بهاتين المدينتين[117].

الشكل الثالث عشر: {ق}

موقعها فى سورة ق.

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفاتحة

بدأ الطبري فى تأويل هذه الفاتحة بذكر اختلاف أهل التأويل: أولا: أنه اسم من أسماء الله تعالى أُقسم به. وممن قال به يستدل برواية عن ابن عباس من حديث عليّ بن داود عن قوله تعالى : (ق، و، ن) وأشباه هذا، فإنه قسم أقسم به الله، وهو اسم من أسماء الله.

[117] الطبري، نفس المرجع، المجلد 13، الجزء 25، ص. 10-11

ثانيا: هو اسم من أسماء القرآن. وممن قال به يستدل بما جاء من رواية قتادة بحديث ابن عبد الأعلى وقول الآخرين: إنه اسم الجبل المحيط بالأرض.

2. موقفه تجاه تلك الاختلافات أو الآراء

قال ابن جرير الطبري أنه قد بيّن تأويل حروف المعجم التى فى أوائل سور القرآن بما فيه الكفاية عن إعادته فى هذا الموضوع.

الشكل الرابع عشر/ الأخير: {ن}

موقعها فى سورة القلم.

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفاتحة

وكما تقدم الكلام عن تأويل الحروف المقطعة، فكان ابن جرير ابتدأ فى تفسيرها بذكر اختلاف أهل التأويل : أولا: أنه بمعنى الحُوت الذى عليه الأَرَضُون. ومما استدل به القائلون بذلك ما يرويه عن ابن عباس من حديث محمد المثني.

ثانيا: أنه حرف من حروف الرحمن. وأصحاب هذا القول اسندوا قولهم إلى ابن عباس من حديث عبد الله بن أحمد المروزي، أن قوله تعالى: (الر، و حم، و ن) هي حروف الرحمن مقطعة.

ثالثا: أنه بمعنى الدواة، والقلم. ومما استدل به القائلون بذلك ما يرويه عن ابن عباس أيضا بحديث ابن حميد، و عن رواية الحسن والقتادة بحديث ابن عبد الأعلى.

رابعا: أنه بمعنى لوح من نوره. ومما استدل به القائلون بذلك ما يرويه عن معاوية بن قرّة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ن، والقلم وما يسطرون) : لوح من نور يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة.

خامسا: أنه بمعنى قسم أقسم الله به. استند أصحاب فى هذا القول إلى رواية عن قتادة، وابن زيد.

سادسا: أنه اسم من أسماء السورة، والآخر يقول : أنه حرف من حروف المعجم.

2. موقفه تجاه تلك الاختلافات أو الآراء

لم يُذكر فيها تعليق ابن جرير الطبري ، إنما يذكر فيها تفسيره عن القلم. فقال ابن جرير الطبري: أما القلم : فهو القلم المعروف، غير أن الذى أقسم به ربنا من الأقلام : القلم الذى خلقه الله تعالى ذكره، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة.

ب. رأيُ ابن كثير عن الحروف المقطعة

كما يهدف هذا البحث فيما تقدم أي التحليل والبيان عمّا فسّره ابن كثير فى الحروف المقطعة، فالمنهج الذى سلكه الباحث فى هذا الوجه لا يكون مثل ما سلكه الباحث عند تحليل رأي ابن جرير الطبري وهو بذكر جميع التفسيرات فى كل شكل من الحروف المقطعة، وذلك لأن ما ورد فى تفسير الطبري ليس كما ورد فى تفسير ابن كثير، وذلك أن ابن كثير لا يفسر كل هذه الحروف المقطعة على التفصيل بل يكتفى بذكرها فى أول سورة البقرة. وهذه ما أوْرده ابن كثير فى تفسيره عن الحروف المقطعة:

تفسيره عن شكل الحروف المفتوحة ب-{الم}

موقعها فى سورة البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. فسورة البقرة وآل عمران مدنيتان، والباقي منهما مكية.

1. آراء بين أهل التأويل فى تفسير هذه الفاتحة

وكما كان ابن جرير الطبري يذكر بعض الاختلافات فى ابتداء تأويل هذه الحروف المقطعة، فكان ابن كثير يسلك مثل ما سلكه ابن جرير الطبري فى تفسير تلك السور وهو يذكر الاختلافات فى ابتداء تفسير الحروف المقطعة، فقال إن الاختلافات فى تفسيرها تحتوى على ما يلى:

أولا: ما نقله ابن كثير من تفسير القرطبي عن رواية أبى بكر وعثمان وعلي وابن مسعود على أن هذه الحروف مما استأثر الله بعلمه فَيُردّ علمها إلى الله ولا يجوز تأويلها.

ثانيا: أنها أسماء للسور؛ استدل القائل بهذا مما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة "الم السجدة" ، و"هل أتى على الانسان".

ثالثا: قول سفيان الثوري عن مجاهد؛ أن (الم، و حم، و المص، و ص) من الفواتح يفتتح الله بها القرآن.

رابعا: أنها اسم من أسماء القرآن. وهذا قول قتادة وزيد بن أسلم

خامسا: وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى: ومما استدل به القائل بذلك ما جاء من ابن عباس رضي الله عنه.

سادسا: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أنها أقسام أقسم الله بها. وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علية عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال: (الم) قسم.

سابعا: أنها دلالة على معنى : أنا الله أعلم. ومما استدل به القائل بذلك حديث شريك بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس: (الم) قال: أنا الله أعلم، وكذلك سعيد بن جبير، وقال بمثله السدي عن أبى مالك.

ثامنا: هي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. ومما استدل به عن رواية أبي صالح عن ابن عباس. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أنس عن أبي العالية فى قوله تعالى : (الم) قال: هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلألائه، وليس منها حرف إلا وهو فى مدة أقوام وآجالهم، قال عيس ابن مريم عليه السلام وعجب فقال: أعجب أنهم ينطقون بأسمائه ويعيشون فى رزقه فكيف يكفرون به، فالألف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله، واللام لطف الله، والميم مجد الله، والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة.

ونحوه ما رواه ابن جرير حيث يوجه كل واحد من الأقوال عن الحروف المقطعة ويوفق بينها، وأنه لا منافاة بين كل واحد وبين الآخر، وأن كل الأقوال عنها يمكن على جمعها: فهي أسماء للسور، ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور، فكل حرف منها دل على اسم من أسماء الله وعلى صفة من صفاته، كما افتتح سورا كثيرة

بتحميده وتسبيحه وتعظيمه، قال: ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك، كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معان كثيرة كلفظ الأمة فإنها تطلق ويراد به الدين كقوله تعالى: {...إنّا وجدنا ءابآءنا على أمّة...}[118] وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى : {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين}[119]. وغير ذلك من الأمثال.

2. موقفه تجاه تلك الاختلافات أو الآراء

قال ابن كثير فى مناقشة تلك الاختلافات :

أولا: قوله فى تلك الاختلافات مثل ما قاله ابن جرير الطبري. فكان الطبري يوجه كل واحد من تلك الأقوال أو الاختلافات ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر، وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور، ومن أسماء الله تعالى، يفتتح بها السور، فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته، كما

[118].سورة الزخرف: 22-23

[119].سورة النحل: 120

افتتح سورا كثيرا بتحميده وتسبيحه وتعظيمه، ولكنه ليس كما ذكره أبو العالية فإن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا، ولفظ الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة فى الاصطلاح، إنما دل فى القرآن فى كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام، فأما حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول. ثم عن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها فى سياق الكلام بدلالة الوضع، فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر فى التقدير أو الاضمار بوضع ولا بغيره، فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف، والمسئلة مختلف فيها وليس فيها اجماع حتى يحكم به[120].

ثانيا: قال ابن كثير فى تفسيره: أن مجموع الحروف المذكورة فى أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا، وهي (أ، ل، م، ص، ر، ك، هـــ، ي، ع، ط، س، ح، ق، ن) فإذا اجتمع تشير إلى القول: نص حكيم قاطع له سرّ، وكما نقله أيضا عن الزمخشري، أن هذه الحروف الأربعة عشرة مشتملة على أصناف أجناس الحروف، يعنى من المهموسة والمجهورة، ومن الرخوة والشديدة، ومن المطبقة والمفتوحة، ومن المستعلية والمنخفضة، ومن حروف القلقلة. فقال العلماء : لا شك أن هذه الحروف لم يترلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى؛ وأسهب ابن كثير فى كلامه : ومن قال بأن فى

[120] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت، لبنان، دار الفكر، طبعة جديدة بإخراج جديد، 1422هـــ/2002م)، الجزء 1، ص. 43

القرآن ما هو تعبّد فحسب لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأ كبيرا، فتعين أن لها معنى فى نفس الأمر، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيئ قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا: {آمنّا به، كلّ من عند ربّنا} ولم يجمع العلماء فيها على شيئ معيّن، وإنما اختلفوا فيها، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين.

ثالثا: قال ابن كثير: أن ما قاله ابن جرير بأن ما ذكرت هذه الحروف ليعرف بها أوائل السور ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه، وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة.

رابعا: ذهب بعض العلماء إلى أن الحروف المقطعة نزلت لاستدراج نفوس المشركين ليستغربوها فيفتحوا لها أسماعهم فيسمعوا القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة. ومن أصحاب هذا القول ابن جرير الطبري. فقال ابن كثير فى مناقشة هذا القول: إنه ضعيف لأنه لو كان كذلك لكان ذلك فى جميع السور لا يكون بعضها، بل غالبها ليس كذلك، ولو كان كذلك أيضا الابتداء بها فى أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك، ثم إن هذه السور والتى تليها يعنى البقرة وآل عمران – مدنيتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه[121].

[121] ابن كثير، نفس المرجع، المجلد.1، ص. 44

خامسا: رفض "ابن كثير" من قال بأن هذه الحروف المقطعة تدل على معرفة المدد، فإن الحديث المتعلق بهذا المعنى ضعيف، حيث إن هذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به[122].

سادسا: وبعد عرض تلك الآراء السابقة، ذكر ابن كثير الرأي الصحيح عنده. فقال: إنما ذكرت هذه الحروف فى أوائل السور التى ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التى يتخاطبون بها. وقال ابن كثير، فلهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته[123]

ج. تحليل الفروق والمساوات بين رأي ابن جرير الطبري وابن كثير فى تأويل الحروف المقطعة

[122] كما قد ذكره الباحث فى الباب الثانى، أن بعض الناس يقول : إن الحروف المقطعة هى حروف من حساب الجمل. لأن طريقة الحساب الأبجدي المعروفة الآن كانت متداولة بين أهل الكتاب آنذاك. فهذه الحروف تعبر عن آجال أقوام معينين.-كما نقل هذه القصة ابن إسحاق فى السيرة النبوية-فكان أبو ياسر بن اخطب اليهودي يحاول أن يتعرف على أجل الأمة الإسلامية وعمرها من خلال هذه الحروف. ونقله معه "ابن حجر" بأنه باطل لا يعتمد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس بأنه من جملة السحر ولا أصل له فى الشريعة. وقال ابن كثير: من زعم أنها دالة على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص. 44، بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، (دار المعرف، الطبعة 2، مجهول السنة)، ص. 145-147

[123] أضاف ابن كثير قوله إلى قول الزمخشري. فقال الزمخشري: و لم ترد كلها مجموعة فى أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ فى التحدى والتبكيت كما كررت قصص كثيرة، وكرر التحدى بالصريح فى أماكن. قال: وجاء منها على حرف واحد كقوله تعالى: (ص، ن، ق)، وحرفين مثل : (حم)، وثلاثة، مثل: (الم)، وأربعة، مثل: (المر، المص)، وخمسة، مثل: (كهيعص، و حم عسق) لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف، وعلى حرفين، وعلى ثلاثة، وعلى أربعة، وعلى خمسة، ولا أكثر من ذلك. اسما عيل سليم عبد المعال، ابن كثير ومنهجه فى التفسير، (القاهرة، مكتبة الملك فيصل الاسلامية، ط.1، 1984م)، ص. 263

نظرا إلى ما قد تقدم البحث من الاختلافات السابقة فى تأويل الحروف المقطعة يظهر لنا أن ما رآه ابن جرير الطبري مخالف لما رآه ابن كثير فى تأويلها. وهذا هي الفروق بينهما:

❖ ما وقف ابن جرير الطبري فى تأويل الحروف المقطعة

فقد نقل ابن جرير أقوال بعض السلف الصالح عن تأويل الحروف المقطعة فى أوّل سورة البقرة وفى سائر السور المفتتحة بها، ثم أجازها جميعا، وادعى أن هذه الحروف تحتمل كل ما ذكروه فى تأويلها. وما وقف عليه ابن جرير الطبري فى تأويلها يحتوى على ما يلى:

أولا: قال ابن جرير : أن قوله تعالى : (الم، و المر، و المص) وما أشبه ذلك من حروف المعجم التى هي فواتح أوائل السور دل على معان شتى، شامل جميعها من أسماء الله عزّ وجل، وصفاته، وأفعاله وأقسامه. وجائت هذه التأويلات من رواية ابن عباس، وأبي، وعكرمة، ومرة الهمداني، والشعبي.

ثانيا: جمع ابن جرير بين الأقوال التى لا يسلم كل واحد منها على حدة من الاعتراض والطعن فضلا عن التسليم بجميعها قياسا على كلمات أطلقها العرب على عدة معان، كلفظ (أمة)، ولفظ (دين) فإن هذين اللفظين وغيرهما من الألفاظ المشتركة لها دلالات متفق عليها بين العرب. وبهذا الرأي لعله رأى مع من رأى أن

هذه الحروف المقطعة ليست مما استأثر الله بعلمه، بل هي حروف لها دلالات خاصة لا يعلمها إلا الراسخون فى العلم، فهي من المتشابهات التى يجوز للعلماء أن يحاولوا تأويلها بقدر الطاقة البشرية، لأن الله تعالى خاطب عباده بها، فكان على الواجب عليهم أن يتعرفوا على مضمونها ولو على سبيل الإجمال.

ثالثا: ذكر ابن جرير فى البحث المتقدِّم أن الحكمة فى ايراد هذه الحروف المقطعة معرفة أوائل السور.

رابعا: ذكر ابن جرير عن قتادة بأن الحروف المقطعة اسم من أسماء القرآن.

خامسا: وذهب الطبري إلى أن الحروف المقطعة نزلت لاستدراج نفوس المشركين ليستغربوها فيفتحوا لها أسماعهم فيسمعوا القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة.

سادسا: وذكر ابن جرير فى تفسيره-أيضا، إنما ذكرت هذه الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور القرآنية لبيان إعجاز القرآن[124].

[124] ذكره ابن جرير الطبري فى تفسيره وكما أتى به الزمخشري فى بيان مجيئ الحروف مقطعة "مسرودة على نمط التعديد، كالإيقاظ، وقرع العصاء لمن تحدي بالقرآن وبغرابة نظمه، وكالتحريك إلى النظر فى أن هذا المتلو عليهم، وقد عجزوا عنه عن آخرهم، كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم، ليؤديهم النظر إلأى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه و لم يظهر عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة، وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار، وهم الحراص على التساجل فى اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان فى القصيد والرجز؛ و لم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التى بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق، و لم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء، و لم يقع وراء مطامح أعين البصراء، إلا لأنه ليس بكلام البشر". بنت الشاطئ ، الإعجاز البيانى للقرآن، (دار المعرف، الطبعة 2، مجهول السنة)، ص. 155

سابعا: إن معنى هذه الحروف المقطعة تشير إلى ما تعلّق بأسماء الله، وصفاته، وأفعاله، وجميع أقسامه سوى ما وردت فى سورة "طه" وسورة "يس"، فإن هتين سورين مخاطبتين للنّبي صلى الله عليه وسلم، فقال ابن جرير فى تفسير سورة "طه": إن أولى بالصواب عندى من الأقوال فيه: قول من قال: معناه: يارجل، لأنها كلمة معروفة فى عكٍّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يارجل. فتأويل قوله تعالى : {طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}[125] إذن : يارجل ما أنزنا عليك القرآن لتشقى، ما أنزلناه عليك فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل.

❖ ما وقف ابن كثير فى تأويل الحروف المقطعة

فقد نقل ابن كثير-أيضا- أقوال بعض السلف الصالح عن تأويل الحروف المقطعة فى أوّل سورة البقرة وفى سائر السور المفتتحة بها، كما نقله ابن جرير عنها، ولكن ابن كثير ما أجازها جميعا. وما وقف عليه ابن كثير فى تأويل الحروف المقطعة يحتوى على ما يلى:

أولا: رفض ابن كثير من قال بأن هذه الحروف المقطعة إسم من أسماء القرآن، لأن هذا القول غير معقول، وإنه يبعد أن يكون (المص) اسما للقرآن كله، لأن

[125] سورة طه: 1-2

المتبادر إلى فهم السامع من يقول: قرأت (المص) إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن.

ثانيا: ضعّف ابن كثير من قال بأن الحكمة فى ايراد هذه الحروف المقطعة معرفة أوائل السور[126]، فقال: هذا المقام ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه، وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة.

ثالثا: ضعّف ابن كثير لمن قال بأن ابتداء بعض السور القرآنية بالحروف المقطعة لتفتح أسماع المشركين إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن إذا سمعوه. فقال ابن كثير فيه؛ إنه قول ضعيف، وذلك لأنه لو كان كذالك لكان ذلك فى جميع السور ولا يكون فى بعضها بل غالبها ليس كذلك. ولو كان كذلك أيضا لا ينفى الإبتداء بها فى أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة والتى تليها أعنى البقرة وآل عمران مدنيتان فانتقد ماذكروه بهذه الوجوه.

رابعا: رفض "ابن كثير" من قال بأن هذه الحروف المقطعة تدل على معرفة المدد، فإن الحديث المتعلق بهذا المعنى ضعيف، حيث إن هذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به.

[126] وهذا مما رأى ه ابن جرير الطبري حيث قال فى تفسيره أن الحكمة فى ايراد هذه الحروف معرفة أوائل السور

خامسا: إنما ذكرت هذه الحروف فى أوائل السور التى ذكرت فيها بيانا لاعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التى يتخاطبون بها. وقال ابن كثير، فلهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته.

سادسا: قال ابن كثير: أن مجموع الحروف المذكورة فى أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا، وهي (أ، ل، م، ص، ر، ك، هـــ، ي، ع، ط، س، ح، ق، ن) فإذا اجتمع تشير إلى القول: نص حكيم قاطع له سرّ.

سابعا: ذهب ابن كثير مثل ما ذهب ابن جرير إلى ما روي عن الربيع بن أنس فى أن قوله تعالى (الم) وغير ذلك من الحروف المقطعة يحتمل على معان يدل كل معناها على مفتاح اسم من أسمائه تعالى، و آلائه، وغير ذلك من الأسماء المنسوبة إلى الله عزّ وجل. ولكن ذلك القول ليس كما ذكره أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا، ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة فى الاصطلاح، إنما دل فى القرآن فى كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام، فأما حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول.